

## بين يدي الكتاب

لما حج السيوطي شرب من ماء زمزم ليصل في  
الفقه إلى رتبة الشيخ « سراج الدين البلقيني » وفي  
الحديث إلى رتبة « الحافظ بن حجر » ! .

ويقول السيوطي :

« لو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها  
وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها  
لقدرت على ذلك من فضل الله » .

ولقد كان السيوطي - بحق - شاهدا على عصره :  
عصر الموسوعات والمجاميع ، ولو لم يقدم لنا عصره  
إلا مؤلفاته - التي أحصيت في أحد الفهارس فكانت  
٧٢٥ مؤلفا - لكفى !! .

( ٧٢٥ مؤلفا ) في عصر كانت بدايته محنة بغداد  
وسقوط الخلافة على يد المغول وإحراق الكتب  
وإغراقها ، وعلى القرب من نهايته كانت نهاية  
الأندلس ، ويلتقي الهاربون والفارون من محاكم التفتيش  
بالأندلس مع الهارين والفاارين من وجه المغول ببغداد  
!! حيث تتلقاهم القاهرة !! التي كانت ماتزال تحمل  
الراية ، فتستعيد بهم المجد الزائل والتراث الذي كاد  
يندثر أمام تلك الحملات الشرسة على الحضارة  
الإسلامية في المشرق والمغرب .

نحن إذن مع علم من أعلام النهضة الأدبية والتاريخية والعلمية في أحد مؤلفاته : « نزهة الجلساء في أشعار النساء » ترجم فيه لأربعين شاعرة من شواعر العرب « المولّدات » وعرض لهن نماذج جيدة خالدة من أشعارهن مع ذكر طائفة مستملحة من أخبارهن ، إلى جانب « نوادر بعض الجوارى » .

وكأنما أراد السيوطي أن يجمع لنا في كتابه ما بقي للمرأة من « عظمة الشاعرية » مما خلّده الأيام ، ولم تستطع محوه الأعوام .

وإذا كان هناك من يقول : « إن شعر النساء الجيد لا يجتمع منه إلا صفحات » فهأنذا أقدم تلك الصفحات التي جمعها السيوطي فأحسن الجمع واختار فوفق في الاختيار .

وكأنما أراد السيوطي إلى جانب « نزهة الجلساء » أن يفتح أعيننا على لون من الحياة في المشرق العربي قبل أن تسقط بغداد في يد المغول ، وعلى لون من الحياة في المغرب العربي قبل أن تسقط الأندلس ويخرج المسلمون منها بعدما حكموها ما يقرب من ثمانية قرون !! .

إن الشعر مرآة تنعكس على صفحاتها الحياة ، والحياة عبر ودروس ، والسعيد من وعظ بغيره !! .

ليس بإنسان ولا عالم من لا يعي التاريخ في صدره  
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً إلى عمره

نعم لقد جمع السيوطي فأحسن الجمع ، واختار  
فأجاد الاختيار ، اختار نماذج الشواعر من نساء  
بغداد ، ومن نساء المغرب واستمد « مادته » من :

١ - كتاب تاريخ بغداد لابن النجار .

٢ - كتاب المغرب في حُلَى المغرب .

بالإضافة إلى ما ذكره من أن « ابن الطَّرَاح »<sup>(١)</sup>  
ألف كتابا في « الشواعر اللاتي يستشهد بشعرهن في  
العربية » وأنه جاء في عدة مجلدات رأى منه  
« السادس » وليس آخر المجلدات .

تُرى ... هل كنا نظفر بمثل هذه الباقة الشعرية  
الجميلة لو لم يتصدَّ « السيوطي » لجمعها  
واختيارها !؟ .

هل كنا نتعرف على صور من الحياة في عصرين طار  
شأنهما وارتفع... ولكن وأسفاه !! كما طار وقع !!؟ .

الحق أن معايشة « السيوطي » فيما جمعه نزهة  
ومتعة وعبرة وعظة لمن شاء أن يعتبر !! ، وحسب  
السيوطي أنه قدم لنا باقة تحمل بصمات عصر ذهبي  
للأدب في المشرق والمغرب تألق ثم مضى وذهب .

---

(١) ابن الطَّرَاح : فخر الدين بن مظفر بن الطَّرَاح من رجال  
العصر المغولي في العراق . يقول : الشعر الجيد عاش ستين سنة ونيفا  
(.... - ٦٩٤ هـ) الأعلام للزركلي .

لقد أحصيت التآليف السيوطية - كما قلنا - فكانت (٧٢٥ مؤلفا) أخرجت منها الطباعة نيفا ومائتين ، وماتزال المكتبات عامة وخاصة تحتزن منها زهاء المائتين ، وأما الباقي فهو في حكم المفقود .

وقد نسبت إلى السيوطي مؤلفات هو منها برئ دُست عليه من حساده ، وأضافها إليه بعض الناس لترويجها ... من ذلك :

- ١ - الفاشوش في أحكام قراقوش .
  - ٢ - ديوان المرج النضر ، والأرج العطر .  
وهو ( من نظم « سيوطي » آخر كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية ) .
  - ٣ - الرحمة في الطب والحكمة .
- أما كتاب « نزهة الجلساء في أشعار النساء » فقد نسبة السيوطي لنفسه في « فهرست النوادر » .  
وعزاه إليه « حاجي خليفة » في كشف الظنون ، « وبروكلمان » في تاريخ الأدب العربي ، والبغدادى في هدية العارفين .

وتشير الفهارس إلى وجود أكثر من مخطوط لهذا الكتاب إلى جانب مخطوط « المكتبة التيمورية » المسجل بدار الكتب المصرية تحت رقم : « ٨١٣ شعر » وهو الذى قمنا بتحقيقه .

- ١ - هناك مخطوط محفوظ بالخزانة العامة بالرباط .  
٢ - وهناك مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت  
« رقم ٤٥٨٦ » .

وإذا كان قد أتيج لهذا الكتاب أن يرى النور ، ويتم  
طبعه من قبل على ضوء مخطوطات أخرى فإننا نرى أنه  
قد ضم من الشعر المكشوف مالا يسمح به عصرنا ،  
إلى جانب أنه مازال في حاجة إلى تناول أبياته بما يتيح  
لهواة الشعر معاشتها والتحليق في أجوائها ، وكانت هذه  
مهمتنا التي انفردنا بها ولم يعالجها أحد قبلنا .

أليس الشعر فناً ، والفن سمو وارتقاء وصفاء  
ونقاء !! .

ولقد أجمع النقاد على أنه ليس من الشعر ما سف  
أو هبط !! .

صحيح أن السابقين لم يهملوا في جمع التراث وحفظه  
وحاشاهم أن يقصروا ، ولكن الموسوعات ماتزال تضم  
ألوانا شتى فيها « العفيف » وفيها « المكشوف »  
و « ما لا يقال » !!! ؛ مما لا يعد فنا ولا شعراً !! .

البعيد ، مُحلقين في سماء الخيال مع شقائق الرجال  
وربات الحجال !! .

وحسبنا ما قمنا به مما تلمسه واضحا بين يديك  
والله يوفقنا دائما إلى ما فيه الخير لأمتنا .....

ويأتى دورنا فى تقديم هذا التراث خاليا من الشوائب  
سهلا ميسرا للأجيال ينعش نفوسهم ، ويصقل  
مواهبهم ، وينمى هوايتهم ، ويشبع نهمهم إلى العلم  
والأدب .

لقد جمع كتاب « نزهة المجلساء فى أشعار النساء »  
أغراضا شعرية شتى ، فعندما تقلب صفحاته - على  
الرغم من قلتها - تجد الحب ولوعته ، والرثاء  
وحسرتة ، والهجاء ولذعته والوصف وبهجتة إلى  
جانب الفخر وعزته ، والاعتذار وذلته !! لكنه مازال  
يضم من الشعر ما يجرح الحياء ويخدش الشعور  
مما تعافه الفطرة السليمة !! .

ولقد وقفنا حائرين بين ما توجه به « الأمانة  
العلمية » وتقتضيه ، وبين ما التزمنا به فى خطنا الذين  
نسير عليه من أمانة الكلمة التى ننشرها وطهرها  
وعفتها مراقبين الله فيها .

وكان علينا أن نهمل بعض الكلمات ( ..... ) ،  
ونترك مكانها مليئا بنقط تدل عليها ، وأشرنا إلى ذلك  
فى موضعه كما تقتضى بذلك الأمانة العلمية ، ومن  
حسن الحظ أنها جاءت فى مقطوعات لا تكاد تجاوز  
أصابع اليد الواحدة .

ولقد وقفنا بين يدى الآيات لنلقى الضوء عليها بما  
يتيح للقارئ المتعة فى نزهته ، والسعادة فى رحلته مع  
السيوطى ، وقمنا بتوضيح الغامض ، وتقريب

## الإمام السُّيوطي

( ٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م )

هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى ، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب .

له نحو ٧٢٥ مصنفا ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة نشأ فى القاهرة يتيما « مات والده وعمره خمس سنوات » ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه فى روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه جميعا كأنه لا يعرفهم ، فألف أكثر كتبه .

وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه ، وأرسل إليه هدايا فردها ، وبقي على ذلك إلى أن مات .

وجاء فى كتاب « المنح البادية - خ » أنه كان يلقب بابن الكتب ، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته بين الكتب .

عصر السيوطي :

ما بين سقوط بغداد في أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ ودخول العثمانيين مصر سنة ٩٢٣ هـ عصر كامل هو العصر المغولي الذي ساد فيه « المغول » الرقعة العربية من حدود الهند شرقا إلى حدود سوريا غربا فترة تجاوز القرنين ونصف القرن بما يقرب من ستة عشر عاما .  
ويشاء الله - سبحانه - أن تظل مصر بمنجاة من شرهم لتحيا في ظل الممالك .

ويشاء القدر أيضا أن تحل بالمسلمين محنة أخرى قبيل نهاية هذا العصر ففي سنة ٨٩٧ هـ أخرج المسلمون من أسبانيا !! .

وكانت الوصمة الفاضحة إحراق المكتبات والإتيان على التراث الإسلامي ! ، وكما فعل جنكيزخان فعل الإسبان ؛ فلقد أتوا على الكتب إحراقا وإبادة ، وآخر ما كان لهم في ذلك ما فعله الكردينال « زيمتس » آخر القرن التاسع بمكتبة غرناطة حين حرم الوجود الثقافي من نحو ثمانين ألف مجلد !! .

وتصبح القاهرة ملتقى الناس من جميع الأجناس وملجأ الأدباء والعلماء يفدون إليها من كل فج عميق ... من الشرق ومن الغرب .

وتتجلى ظواهر ثلاث أمام هذه المحنة :

● الظاهرة الأولى ذلك الوعي التاريخي الذى شغل أصحابه بتدوين ما كادت الأحداث تذهب به !!  
يحمل رايته :

« ابن خلكان » فى وفيات الأعيان .  
( ٦٨١ هـ ) .

و « ابن أبى أصيبعة » فى طبقات الأطباء .  
( ٦٦٨ هـ ) .

و « صلاح الدين الصفدى » فى الوافى  
بالوفيات . ( ٧٦٤ هـ ) .

و « أبو الفدا » فى المختصر فى أخبار البشر .  
( ٧٣٢ هـ ) .

و « الذهبى » فى تاريخ الإسلام . ( ٧٤٨ هـ ) .  
و « ابن شاکر الکتبى » فى فوات الوفيات .  
( ٧٥٤ هـ ) .

و « ابن حجر العسقلانى » فى الدرر الكامنة .  
( ٨٥٢ هـ ) .

و « المقرئى » فى الخطط . ( ٨٤٥ هـ ) .

● أما الظاهرة الثانية فتجلى فى ذلك الوعي الذى  
يتصل بالتاريخ وأعنى به النقد الأدبى ، وحمل  
رايته .

« ابن الطقطقي » في كتابه « الفخرى » .  
( ٧٠٢ هـ ) .

« ابن خلدون » في مقدمته . ( ٨٠٨ هـ ) .

● أما الظاهرة الثالثة فتسجل في لهفة المؤلفين وتنافسهم على الجمع الموسوعي حتى أصبح هذا « العصر المغولي » يسمى بحق « عصر الموسوعات وعصر المجاميع » .

وكما خافوا على التاريخ خافوا على اللغة فأكثروا من المعاجم ، ولاعجب فقد أحس علماء هذا العصر - بين عشية وضحاها - انطواء صفحات ، وذهاب تاريخ وانحاء معالم ، ويحمل لواء هذه النهضة اللغوية : ابن منظور صاحب لسان العرب .  
( ٧١١ هـ ) .

والنويري صاحب نهاية الأرب . ( ٧٣٢ هـ ) .  
وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار  
( ٧٤٨ هـ ) .

والفيروز آبادي صاحب القاموس . ( ٨١٧ هـ )  
والقلقشندي صاحب صبح الأعش . ( ٨٢١ هـ )

وفي ظل هذا العصر نشأ جلال الدين السيوطي وعاش ومات ( ٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ ) .. عاش في القرن التاسع الهجري وأدرك أوائل القرن العاشر .

عاش ليكون شاهدا على عصره عصر الموسوعات  
والجاميع ، ولو لم يقدم لنا عصر إلا مؤلفات السيوطي  
لكفاه فخرا على مر العصور والدهور ، ولا عجب فقد  
كان كما قال النقاد : دار نشر وحده .  
السيوطي شاعراً :

لقد كان أدبيا مطلعاً نلمس في أسلوبه حساسية  
الشاعر ... وقد كان أقرب شها بابن حجر العسقلاني  
حيث وجهتهما حياتهما العلمية بعيداً عن الأدب الذي  
كان مزاجاً لنفسيهما ولكنهما كانا يعاودانه الفينة بعد  
الفينة .

وتترأى على شعرهما المسحة العلمية . وإن كان  
ابن حجر أرق وأغزل من السيوطي .

ونظم السيوطي في الإخوانيات والرتاء والمدح  
النبوي ووصف الأحداث العامة غير أنه ذو باع طويل  
في نظم العلوم والفنون والفوائد العلمية والأحكام  
الشرعية .

ومما تتجلى فيه قوة الإيمان والثقة بالله تعالى وحده  
قوله :

أيها السائل قوما ما هم في الخير مذهب  
اترك الناس جميعاً وإلى ربك فارغب  
ويقول في رجاء عفو الله وابتغاء رحمته :

لِمَ لا تُرَجِّى العفوَ من ربنا وكيف لا تطمَعُ في حِلْمه؟  
في الصحيحين أتى أنه بعده أرحمُ من أمِّه  
وله ديوان شعر . وقد ذكره حاجي خليفة .

النساء والشعر !! :

يوم أن طلعت علينا « عائشة التيمورية » بديوانها  
الذي أسمته « حلية الطراز » رحنا نقلب صفحاته وإذا  
به ١٩٣٦ بيتا منها ٥٥٤ في باب الغزل ، والباقي في  
أغراض أخرى .

وراح أحد النقاد يتساءل :

هل يحق للمرأة أن تقول شعرا في الغزل ؟ !! .  
وإذا كان لها ذلك فقيمنا تنغزل ؟ أتتغزل في امرأة  
مثلها ؟ أم تتغزل في رجل ؟ .

ثم راح ذلك الكاتب يقول :

« الواقع أننا إذا نظرنا إلى ما وصل إلينا من آثار  
شاعرات العرب لا نجد هن شيئا في الغزل ؛ فمما  
لاشك فيه أن عائشة انفردت دون الشاعرات  
العربيات بما نظمته في هذا الباب » .

ولا نملك الآن بعد أن عثرنا على مخطوط  
السيوطي :

« نزهة الجلساء في أشعار النساء » إلا أن نقول  
لهذا الكاتب : تعال إلى النزهة لترى فيمن تنغزل

النساء؟! وماذا يقلن؟ .

أليس ذلك لونا جديداً يعرضه السيوطى؟! .

ويقول الأستاذ العقاد فى هذه المناسبة :

● إن الاستعداد للشعر نادر!! .

● وإنه بين النساء أندر!! .

فالمرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفنى من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لا تحسن الشعر ، ولَمَّا يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة ، لأن الأنوثة - من حيث هى أنوثة - ليست معبرة عن عواطفها ، ولا هى غلابة تستولى على الشخصية الأخرى التى تقابلها ، بل هى أدنى إلى كتمان العاطفة وإخفائها ، وأدنى إلى تسليم وجودها لمن يستولى عليه من زوج أو حبيب ، ومتى فقدت « الشخصية » صدق التعبير ، وصدق الرغبة فى التوسع والامتداد ، واشتغال الكائنات كلها ، فالذى يبقى لها من عظمة الشاعرية قليل!! .

ونحن نقول له : وهذا هو الذىبقى لها من عظمة الشاعرية يتراءى لنا فى نزهة الجلساء!!

نبوغ المرأة فى الرثاء!!

ثم يقول : ولا ينفى هذا أن الأنتى قد تعبر عن الحزن ؛ لأن الحزن لا يناقض استعداد الشخصية

للتسليم ، والاستناد إلى غيرها ، ولهذا كانت الشاعرة الكبرى التي نبغت في العربية باكية راثية وهي « الخنساء » .

ونقول لأستاذنا :

لقد جمعت نزهة الجلساء ألوانا وفنونا شعرية ففيها المدح ، وفيها الهجاء ، وفيها الوصف ، وفيها الرثاء ، وفيها الاعتذار ، وفيها الغزل ، وفيها ما يمثل الشعر الغنائى بصفة عامة ، في المشرق والمغرب من المحدثات دون المتقدّمات ويقول أستاذنا :

لم يكن الشواعر المعروفة من الجوارى والعقائل في الدولتين العباسية أو الأندلسية إلا مقلدات مرددات لا تجتمع من شعرهن الجيد صفحات .

وقد تعبر الأنتى عن الغزل ، وتبدع فيه كما أبدعت « سافو » أشعر الشواعر الغزليات ، ولكنها لم تكن معبرة عن طبيعة الأنتى كما يعلم القراء !! .

ونقول له :

وهذه هي الصفحات التي اجتمعت من شعرهن الجيد يقدمها لنا الإمام السيوطى لتكون : « نزهة الجلساء في أشعار النساء » .

وحسبهن أنهن عايشن التجربة فرحن يعبرن عنها في صدق وصفاء .

\* \* \*

## منهج التحقيق

يتضح من العرض السابق أننا اعتمدنا على المخطوط الذى وجدناه « بالمكتبة التيمورية برقم ٨١٣ شعر » بدار الكتب المصرية .

وهو يقع فى ٤٩ صفحة كتبت بخط نسخى جميل حديث ويظهر أن الكاتب كان يُملئ عليه من الأصل فأخذ يكتب كما سمع لا كما يرى . ومن هنا وقع التحريف والتصحيف إلى جانب الاختلاف فى طريقة كتابة بعض الكلمات . وعدم رعاية علامات الترقيم . أو إحسان العرض للمادة المكتوبة .

ولقد أشار السيوطى إلى بعض المراجع التى أخذ منها واعتمد عليها . فرجعنا إلى ما تيسر منها . واستعنا فى توثيق النصوص بالمراجع الآتية :

- ١ - كتاب المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها لعبدالله عفيفى .
- ٢ - أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام لعمر رضا كحالة .
- ٣ - البيان والتبيين للجاحظ .
- ٤ - زهر الأدب للحصرى .
- ٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .

وقمنا بضبط الأبيات ، وشرح ما غمض من  
الكلمات والعبارات والتعليق عليها بما يتيح المتعة  
والنزهة في رياض الشعر !! ، وقد راعينا علامات  
الترقيم والرسم الإملائي الحديث ، وأفردنا كل شاعرة  
عن غيرها من الشواعر رعاية للجانب الفنى .

ولقد تركنا مكان الكلمات أو العبارات التى تجرح  
المشاعر نقطا تحفظ لها مكانها فى إطار المقطوعة أو  
البيت رعاية للخط الذى نسير عليه ونرعى الله فيه !!  
دون افتئات على المخطوطة وبهذا نكون قد يسرنا  
المخطوطة التيمورية للاطلاع والمتعة كما أراد مؤلفها  
فجاءت بحق : « نزهة المجلساء فى أشعار النساء »  
عرضا وإخراجا وتأليفا وتبويبا ، وضبطا وتعليقا .  
والله أعلم بالصواب .

عبد اللطيف عاشور

# هَذَا كِتَابٌ

تَرْهَةٌ الْجُلَسَاءِ فِي اشْعَارِ النِّسَاءِ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو

الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَكْرِ

السِّيَرِ الشَّافِعِيِّ الْمَتَوَفَّى

تَحْصِيرُ سَنَةِ ٩١١

أَحَدِي عَشْرَ عُمَدٍ

التَّسْعِيَةَ

هَجْرِيَةَ

٢



اذا لمبتها قلت  
اليس شديد ان تحب ولا يحبك من تحبه

فتقول هي

ويصد عنك بوجهه وتعلم انت فلا تقبه

والله اعلم بالصواب واليه المرجع

والمآب وصلى الله على

سيدنا محمد واله

وسلم